

هؤلاء المنعم عليهم هي نسبه إلى سالكه، فصراط الله لنا هو الذي قرره لنسلكه إليه، وصراطه هو الذي نسلكه إلى الله.

إِذَا ف ﴿صِرَاطِي﴾ نَسَبَةً إِلَى اللَّهِ هُوَ الْأَوَّلُ، وَنَسَبَةً إِلَى الرَّسُولِ هُوَ الثَّانِي، ثُمَّ وَنَسَبَةً إِلَى سَائِرِ السَّلَاقِ لَيْسَتْ إِلَّا عَلَى ضَوْءِ صِرَاطِ الرَّسُولِ بِمَا يَهْدِي اللَّهُ، وَصِرَاطِ الرَّبِّ فِي رَبُوبِيَّتِهِ خَاصٌّ بِهِ لَا يَعْدُوهُ إِلَى سِوَاهُ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وَالصِّرَاطُ إِلَى الرَّبِّ خَاصٌّ بِالْمَرْبُوبِينَ لَا يَعْدُوهُمْ إِلَيْهِ.

في هذه العشر مما ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ لا نجد صراح النهي التحريم إلا في خمس هي الإشراك بالله وقتل الأولاد من إملاق وقرب الفواحش وقتل النفس المحترمة وقرب مال اليتيم إلا بالتتي هي أحسن، كأكبر المحرمات في حقل العقيدة والنفس والعرض والمال والعقل، وهي النواميس الأصلية التي يجب الحفاظ عليها في كافة الشرائع الإلهية.

ثم الخمس الأخرى لا تدل على التحريم إلا بصيغة إيجاب أضدادها ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ - ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾ - ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ - ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ إِذَا فَالْمَحْرَمُ فِيهَا تَرَكَ الْإِحْسَانَ بِالْوَالِدَيْنِ، وَبَخَسَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَتَرَكَ الْعَدْلَ فِي الْقَوْلِ، وَنَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ، وَاتَّبَعَ سَائِرَ السَّبِيلِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالشَّيْءِ لَزَامَهُ النَّهْيُ عَنْ ضَدِّهِ الْعَامِّ، وَأَنَّ هَذِهِ تَكْمِلَةٌ لِلنَّوَامِيسِ الْخَمْسِ.

وفي كلٍّ من هذه النواميس الخمس سلب وإيجاب، فالسلب في ناموس العقيدة ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ - ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ والإيجاب ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ - ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي...﴾ والسلب في ناموس

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.

النفس ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ ومن إيجابه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ والسلب في ناموس العرض ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ ومن إيجابه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ والسلب في ناموس المال ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ وإيجابه ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ و﴿وَأَوْفُوا أَلْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ ثم الإيجاب في ناموس العقل هو الإيجاب في النواميس الأربعة الأخرى ف ﴿ذَلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

ثم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بعد أقسام، و﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعد العاشرة، تذكرة لإيجاب الواجب وترك المحرم، واتقاء عن المحظور في ترك الواجب وفعل المحرم.

ذلك، فلهذه الآيات الثلاث موقف عظيم في القرآن العظيم يتطلب الرسول ﷺ أن يبايع عليها في قوله: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث»<sup>(١)</sup>.

أجل ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...﴾ «فاعلموا إنما السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة وأن إبليس اشترع سبلاً متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها النار».

ولقد «خط رسول الله ﷺ خطأ بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية»<sup>(٢)</sup>.

(١) الدر المنثور ٣: ٥٤ عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أَيُّكُمْ...﴾ [التوبة: ١٢٤].

ثم تلا ﴿قُلْ تَعَالَوْا...﴾ [الأنعام: ١٥١] ثم قال: فمن وفي بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه.

أقول: «كانت عقوبته» بالنسبة للشرك مردودة فإن الله لا يغفر أن يشرك به، اللهم إلا شركاً كالرثاء.

(٢) المصدر أخرج أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن =

وهكذا نختم السياق الطويل من السورة الذي بدأ بقوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا...﴾ (١) ضما بين هذا المبدأ وذلك الختام بقضية الحاكمية والتشريع، فإن الصراط المستقيم كمادة الدعوة هو القرآن العظيم، وكداعية هو الرسول ﷺ ومن يحذو حذو الرسول كالأئمة من عترة الرسول ﷺ، فإنهم السبل إلى رسول الله كما هو السبيل إلى الله، فالمتخلف عنهم متخلف عن سبيل الله قدر تخلفه فإنهم أبواب علم رسول الله ﷺ.

وكما يروى عنه ﷺ قوله: «معاشر الناس أنا صراطه المستقيم الذي أمركم باتباعه ثم عليّ من بعدي ومن ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (٢).

ذلك، ولصراط الله مُنعة تمنع عن التفرق والانزلاق والانحياق، كما ولسائر السبل منعة تمنع عن الانسلاك إلى صراط الله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ المختلفة عن سبيل الله ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

صحيح أن سبيل الله أيضاً سبل ولكنها سبل تنتهي بسلاقتها إلى الصراط حيث الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ

= مردويه والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: خط... رواه مثله عنه ﷺ جابر بن عبد الله .  
(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٤ .

(٢) نور الثقلين ١: ٧٧٩ في كتاب الاحتجاج للطبرسي بإسناده إلى الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ عن النبي ﷺ حديث طويل وفيه خطبة الغدير وفيها: «معاشر الناس أن الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت علياً ونهيته فعلم الأمر والنهي من ربه ﷻ فاسمعوا لأمره تسلموا وأطيعوه تهتدوا وانتهوا لنهيته ترشدوا وصيروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله معاشر الناس إنا صراطه المستقيم» . وفيه تفسير القمي عن الإمام الباقر ﷺ في الآية قال: نحن السبيل فمن أبي فهذه السبل .

أقول: وفي معناه روايات عدة تعني تفسير الجري والتطبيق على ثاني المصداقين لداعية الصراط، وهكذا يجري في العلماء الربانيين العارفين العاملين بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (١) - ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) ثم المسلك النهائي لهذه السبل: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

فأين سبل الظلام التي تتفرق بكم عن سبيله من سبل السلام التي توصلكم إلى سبيله؟.

ذلك، وفي نظرة أخرى شاملة إلى هذه الآيات الثلاث نجدتها تحمل أحكاماً تشترك فيها كل شرائع الدين، ومثلث التعبير بـ ﴿وَصَدِّكُمْ﴾ فيها قد يشير إلى ذلك الاشتراك وكما في آية الشورى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (٣) فإن في هذه الوصايا العشر نجد أصل الدين ككل، ففيها الحفاظ عليه كأصل.

ثم وتذييل الآية الأولى بـ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ علّه لأن ما تشمله من حرمانات هي قضية أصيلة للفطرة والعقلية الإنسانية غير المعقولة بعقلالات الهوى.

وتذييل الثانية بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يعني تذكّر ما في الفطرة والعقل بتأمل فإن ما تحمله ليست كما الأولى في ظهورها وبهورها، فقد يحتاج في عقلها بتعبئة العقل بتذكر وتعمل وتأمل.

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وتذييل الثالثة بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني واقع التقوى الحاصلة بذلك التعقل والتذكر، اتقاءً عما يخالف الفطرة والعقلية الصالحة، وكل ذلك بذلك الوحي المنيف، اجتماعاً لمثلث الوحي فطرة وعقلية وشرعة، والأخيرة هي المكملة لما في الأولين.

فقد يكون الإنسان على صراط التقوى ما دام هو في صراط التعقل والتذكر، تبنياً للفطرة كأصل أول، وللشرعة كأصل آخر، فبينهما التعقل والتذكر، عقلاً عن كلا الفطرة والشرعة، وتذكراً لأحكامهما حسب المستطاع والمقدرة، فـ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّعَالَمٍ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١٥٤)</sup> :

ترى ما هو دور ﴿ثُمَّ﴾ هنا و«تَعَالَوْا أَتْلُ» تلاوة قرآنية ليست إلا بعد ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؟ اللائح من ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾<sup>(٢)</sup> كما سبقناه أن هذه التلاوة تحمل إجمالاً عن كافة شرائع الدين، المتلوة على كافة الأمم الرسالية، وحيث لا يحمل تفصيلها في هذه الخمس إلا شريعة التوراة ومن ثم القرآن، فقد تعني ﴿ثُمَّ﴾ تراخي التفصيل في هذين الكتابين عن الإجمال المتلو لهذه العشرة الكاملة.

فـ ﴿ثُمَّ﴾ بعد تقرير هذه العشرة من أصول التشريعات المشتركة بين كل الشرائع ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ دون نقصان كتفصيل أول للردح الزمني الخاص لشرعة التوراة ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ الله من إجمال هذه العشر، تماماً على قراره وقراره لموسى، فهو تفصيل أول تام على ضوء ذلك

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

الإجمال الهام، و﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ محمد ﷺ من تلاوة ما حرم عليكم، و﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ موسى من جهاده في رسالته وجهوده و﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ من بني إسرائيل في تطبيق هذه النواميس العشرة، كما ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾<sup>(١)</sup> فإن أحسنها هذه العشرة.

و﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ هنا تطبيق لما وعد المحسنين من ذي قبل: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَى الْحَسَنِاتِ﴾<sup>(٢)</sup>.

و﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ هو ﴿أَحْسَنَ﴾ مما سبقه من كتابات الوحي، فإن فيها تماماً للنواميس العشرة حسب الحاجات في أدوارها، ولكن الشريعة التوراتية هي تمامٌ أحسن من التمام في سائر الكتب السابقة عليه.

ذلك وقد تعني ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ خماسية الأحسن قضية حذف الفاعل والمتعلق، فذلك الجمع الخماسي هو تمام على الذي أحسن في أدب اللفظ وحذب المعنى.

ف﴿الْكَتَابَ﴾ هنا على أية حال يحمل أول تمام لتفصيل النواميس العشرة ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ منها دون إبقاء، «تفصيلاً» أول كما يناسب الردح الزمني للشرعة التوراتية ﴿وَهُدَى﴾ للعالمين ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم كما يقتضيه ذلك الدور المحدد ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: لقاءً معرفياً وعبودياً هنا، فلقاءً يوم الحساب للثواب والعقاب، وفي ﴿لَعَلَّهُمْ...﴾ تعريض بني إسرائيل حيث أنكروا لقاء الله لحدّ حذفوا آيات القيامة عنها اللهم إلا شذرة مشيرة!

ذلك، وكما نرى الشرعة التوراتية ترتكن على النواميس العشرة مهما

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٨.

وضحت لها فروعاً هي المعنية بـ ﴿وَنَفَّصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وليس الإنجيل شرعة جديدة بعد التوراة اللهم إلا في تحليل ما حرم فيها عقوبة كما مضت ﴿وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

لذلك لا يذكر الإنجيل هنا بعد التوراة في حقل التفصيل، وكما لم يذكره الجن الذين استمعوا القرآن إذ ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فإنما يذكر القرآن هنا وهناك دون فصل.

أجل ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا...﴾ إحياء بأن هذا الصراط المستقيم ممتد من ذي قبل في كل رسالات الله، وأتم شرعة من ذلك الصراط قبل شرعة القرآن هي التوراة، ثم القرآن تكملة له وتكملة لسائر الشرائع كما يحق ويمكن، حاملاً في صرحه لبنات الخلود دون زوال ولا اضمحلال:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(١٥٥)</sup>:

أف ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ كبركة التوراة دون زيادة عنه؟ إذاً فلا جديد فيه حتى يتبع بعد التوراة ما فيه! إنه ﴿مُبَارَكٌ﴾ بصورة طليقة تحلق على أرض التكليف جغرافياً وتاريخياً إلى يوم الدين، فأين مبارك من مبارك، وليس ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ إلا لذلك المبارك لما انقضى دور الأول؟.

وقد «يمثل القرآن» على ما يروى من رسول القرآن حجة للمؤمنين به العاملين، وحجة على الكافرين به والتاركين<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٢) الدر المنثور ٣: ٥٦ - أخرج ابن أبي شيبة وابن الضريس عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول: يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً فيؤتى الرجل قد حمله فخالف أمره فينتل له خصماً فيقول يا رب حملته إياي فبئس حاملي تعدى حدودي وضيع فرائضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحج حتى يقال فشأنك فبأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار ويؤتى بالرجل الصالح قد كان حمله وحفظ أمره فينتل له خصماً دونه =

لقد أنزل ذلك الكتاب المبارك قطعاً لأية حجة وبيّنة طليقة من الرب حليقة على كلّ الطلبات، حقيقة بالاتباع إلى يوم الدين:

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ

لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾:

والطائفتان المنزل عليهما الكتاب المفصل بعد إجمال النواميس العشرة هما اليهود والنصارى، وهذه دلالة ثالثة قرآنية على أن التوراة كتاب شرعة أحكامية لكلا اليهود والنصارى، كما وهو للعالمين أجمعين حتى زمن نزول القرآن.

فاختصاص نزول الكتاب المفصل بطائفتين دون نزول ثان على الأميين وهم قوم لُدّ ليسوا ليحتموا إلى كتاب أنزل على غيرهم، ذلك حجة قد تقطع عذرهم عما هم ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴿١﴾﴾ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾﴾ فقرأهم عليهم ما كانوا به مؤمنين ﴿٢﴾﴾.

وترى كيف يصدق ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ والتوراة شرعة عالمية؟ ذلك تخيل منهم وكثير هؤلاء الذين يعيشون هذا التخيل رغم نصوص القرآن بأماميته التوراة، أو اعتذار أن محور الدعوة التوراتية هم طائفتان من قبلنا، ولغتهم غير لغتنا، ودعوتها - على أية حال - ما وصلت

= فيقول يا رب حملته إياي فحفظ حدودي وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له: شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر».

أقول: هي كما يقول الله: ﴿لَا لَعْنٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِ﴾ [الطور: ٢٣].

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٨، ١٩٩.



إِلَيْنَا ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ﴾ ﴿١﴾ كيفما كانت الغفلة، تقصيراً من حملتها حيث لم يبلغوها إلينا أم بلغوها محرفة عن جهات أشراعتها.

لا سيما ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ لهذا الكتاب ﴿لَغَفْلِينَ﴾ فقد درسوا الكتاب النازل عليهم صالحة أم طالحة ونحن عنها غافلون إذ لم تصل إلينا من دراستهم شيء إلا إنذار رسالة بتحريفات وتجديفات، فكيف نكلف بكتاب ما وصلت إلينا دعوته إلا محرفة مزورة لا تكفيها الآن حجة فضلاً عن الغافلين، وحتى لو كانت غفلتنا معقدة فنحن الآن حيارى إذ حرفوا الكتاب فلا يفيدنا - إذاً - كما لا يفيدهم، فلندكر بكتاب لا يحمل ما حملته التوراة من تحريفات وتجديفات: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢﴾.

ذلك، وحتى لو كانت التوراة نازلة علينا كما لهم فواقع التحريف فيه يفرض تجديد الوحي مع جديد استمراره واستقراره واستقطابه كافة المكلفين إلى يوم الدين، فهاتان حجتان اثنتان، ثم الثالثة:

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا إِنِنَّا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾:

«واقسموا بالله» لو لم ينزل عليكم القرآن ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ ﴿١﴾ واقسموا بالله جهداً أيمنهم لين جاءهم نذيرٌ ليكوننَّ أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذيرٌ ما زادهم إلا نفوراً ﴿٣﴾.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٢.

ذلك، ولا تختص تلك الأعذار بالأميين العرب، المخاطبين الأول بالقرآن، بل هي تحلّق على كافة المكلفين، لمكان تحرف التوراة فلا تظلم حجة على الأجيال، وأنها تحمل من أحكام مؤقتة لا تتحمل لقضية الخلود، فإنما يذكر هنا أعذار الأميين لأنهم هم المواجهون الأولون لوحي القرآن، فلتقطع أعذار الحملة الأولى لهذه الرسالة القرآنية ومن ثم العالمون أجمعون.

ذلك ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ عرباً وسواهم آية ﴿يَسِّنُّهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تحمل كافة البينات: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾<sup>(١)</sup>؟ بينة ليست فوقها بينة ﴿مَنْ رَبِّكُمْ﴾ على مدار الزمن الرسالي ككل ﴿وَهَدَى وَرَحْمَةً﴾ تحملان كل هدى الله ورحماته، إذا ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ هذه البينات القاطعات لكل الأعذار ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ منعاً وإعراضاً شديداً مديداً إعراضاً لأنفسهم وإعراضاً لآخرين، حيث الصّدْف هو المنع والإعراض، ﴿سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا﴾ أياً كان وأيان في حقل القرآن ﴿سَنَجِرِي﴾ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ هو دقيقه دون رقيقه، فإن دقيقه عدل ورقيقه فضل وهم أولاء الأنكاد يستحقون فضلاً وإن في العذاب ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ ويُعرضون.



(١) سورة طه، الآية: ١٣٣.